المحاضرة 05: التحليل البنيوي السردي

إعداد الأستاذة: سعيدة حمداوي

الفئة المستهدفة: طلبة السنة الأولى ماستر، تخصص: نقد حديث ومعاصر

الأهداف:

أن يتعرف الطالب على آليات التحليل البنيوي السردي أو ما يسمى بالسرديات البنيوية وكيفية تطبيقه على النصوص.

الملخص:

توضح هذه المحاضرة مبادئ السرديات البنيوية بوصفها منهجا نسقيا محايثا يستنطق بنيات النصوص السردية داخليا.

يركز تحليل الخطاب السردي على بيان ثبات عناصر البنية الداخلية للسرد من أجل إرساء مبادئ وقوانين للسرد العالمي. ومن النظريات السردية الرئيسة: نظريات الشكلانيين الروس (ف. بروب، ف. شكلوفسكي، ب .إيخنباوم)، النظرية الحوارية للسرد (م. باختين)، نظرية "النقد الجديد" (ر .ب. بلاكمير)، والنظريات السيميائية البنيوية (ر. بارث، أ. جريماس، ج. جينيت، سي. ليفي شتراوس، تس. تودوروف، إتش. وايت). ويشبه التحليل البنيوي للسرديات (تحديد العناصر الثابتة للحلقة السردية) البحث عن البنية الكلية للنصوص، أو الشكل التخطيطي العالمي للخطاب.

ينظر إلى السرديات بوصفها علما يتناول قوانين الأدب القصصي قد صاغ تودوروف المصطلح الفرنسي سنة 1969 للدلالة على علم جديد لم يوجد بعد [...] علم القصص قول مفهومه كان جارياً في مصطلحات أخرى أوسع مثل الإنشائية (*) وعلم الأدب، والأبحاث

التي أفادت منها السرديات أو جعلتها ضمن مجالها قد نشأت قبل ذلك بعقود. وإذا كانت بعض الدراسات تستعيد ثنائية أفلاطون وأرسطو السرد والمحاكاة، أما التفكير الحديث في السرد فبدأ عند الروائيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مثل "فلوبير" في مراسلاته وهنري جيمس في مقدمات رواياته عند إعادة نشرها سنة 1884.

ظهرت في الفترة نفسها أعمال الشكلانيين الروس وخاصة "ايخنباوم" و"شكلوفسكي" و"توماشيفسكي وبروب"، حول أصناف السرد ودور الراوي وأشكال التركيب القصصي والتبرير والحبكة والشخصية القصصية وعلاقة المتن الحكائي بالمبنى الحكائي والخصائص المميزة لهذا الجنس الأدبي. ويبدو أن هذه الأعمال الشكلانية لم تؤثر بشكل مباشر في النظرية السردية والنظرية الأدبية عامة إلا بعد انفراط عقد الجماعة بعقدين أو أكثر، وخاصة عندما أصدر ايرايخ سنة 1954 كتابه بالإنكليزية الشكلانية الروسية مؤرخاً وعارضاً لأبحاثها، وعندما أصدر اتودوروف سنة 1963 كتابه "نظرية الأدب. نصوص الشكلانيين الروس" مترجما فيه إلى الفرنسية عددا مهما من نصوصها الأساسية.

إن ذلك التراكم من البحث السردي في اللغات الأوروبية المذكورة هو الذي تأسس عليه البناء التصنيفي والنظري الذي أنجزته البنيوية الفرنسية منذ الستينيات، دون الغفلة عن تأثير اللسانيات السوسيرية والأبحاث المتأثرة بمفاهيمها المركزية، ولا شك. في أن العدد الثامن من مجلة "إبلاغات" سنة 1966 يقوم دليلا على تلك الإفادة. وكان واضحا من مقال "بارت" الافتتاحي السعي إلى التحكم المنهجي في قصص العالم التي لا تحصى في كل الأزمنة وفي مختلف الأشكال الحاملة لها اللغوية وغير اللغوية وردها، مثلما حاول الشكلانيون الروس، إلى عدد محدود من القواعد والبني بالإفادة من الطريقة الاستنباطية كما في اللسانيات ومنذ ذلك العدد خاصة، ترسخ في التحاليل السردية التمييز بين القصة من حيث هي حكاية، والقصة من حيث هي خطاب"، وهو موروث عن الثنائية الشكلانية المتن والمبنى، والتمييز بين الكائنات الورقية القائمة في النص ، أي الرواة والشخصيات، والكائنات الحقيقية خارج النفق، أي المؤلف والقاري ودرست الشخصية القصصية من حيث خصائصها

ووظائفها ضمن النظام السردي والنقي لا في علاقتها بواقع خارجي مفترض وأثير النقاش حول الطريقة التي يضاء بها منطق الأعمال في القطة ومواقع الرواة وأنماط الرؤية وصيغ السرد ومسائل أخرى عديدة. وإذا كانت أبحاث "بارت" و"تودوروف" و"جونات" و"فريماس" و"كلود بريمون وغيرهم قد طورت النظرية السردية، فإنها قد اتجهت بالبحث السردي اتجاهات متقاربة حينا ومتباعدة حينا آخر ففي ذلك العدد بالذات من مجلة "إبلاغات"، درس السرد في الرواية والأساطير والخرافات وقصص الصحافة والأفلام مما جعل السؤال عن موضوع السرديات مطروحا بشكل صريح أو ضمني: هل تقتصر السرديات على البحث في القصص الأدبي المكتوب أم هل يقع عملها للنظر في القصص التقوي والتمني المجهول المؤلف؟ وهل ذلك القصص هو التخيلي وحده أم هل من الضروري أن تبحث أيضا في القصص المرجعي العام وهل السرد الذي تجعله السرديات موضوعا لها هو المصرع بلغة من اللغات الطبيعية أم هل هو أيضا المقدم بوسائل سيميائية أخرى كالصورة والإشارة؟

يبدو جلياً من تاريخ الدراسات السردية التي أشرنا إلى نماذج منها في الفرنسية والإنكليزية والروسية أن المحاولات في بيان خصائص السرد وقواعده وبناء لقد كانت في أغلبها منطلقة من نصوص أدبية تخيلية الرواية والأقصوصة مع النظر في القصص الشفوي (الخرافات) أحيانا. وقد اتجه البحث اتجاهين متكاملين: أحدهما يحاول، كما في مساهمات تودوروف وبريمون أن يكتشف قوانين الحكاية المروية من حيث منطق الأعمال والحبكة والشخصيات وعلاقاتها، والثاني بنظر في الخطاب القصصي. وقد بنيت مساهمة "تودوروف" على تصنيف جان بويون سنة 1946 للرؤية وعلى ما صار متداولاً من حديث عن الصيغة في القصص وكان بحث "جونات "الخطاب القصصي" محاولة غارقة في تاريخ السرديات، إذ أعاد فيه تنظيم عدد من التصورات السابقة في دراسة السرد، وخاصة ما ورد عند تودوروف وفي النقد الأنجلوسكسوني، وجعل عمله في ثلاثة مباحث كبرى هي الزمن والصيغة والصوت.

ولئن أثارت تصنيفات جونات ومفاهيمه ومصطلحاته نقاشات واسعة ووجدت صدى واسعا في مختلف اللغات وتطبيقات على الإبداعات الروائية والقصصية لا تكاد أحصى وقد أفادت منها دراسات كثيرة سعت إلى تعميق النظر في وجوه عديدة من مكونات النص السردي كالتبئير والوصف والمستويات والشخصية القصصية وغيرها. ولم يقتصر تطبيق تلك المنظومة الاصطلاحية على الأدب وحده وإنما وظفت أيضا، وإن جزئيا، في القصص الشعبية المجهول مؤلفوها شأن "ألف ليلة وليلة" ومائة ليلة وليلة والسير الشعبية العربية ووقفت أيضاً بدرجات متفاوتة في تحليل النصوص من القصص المرجعي كالسيرة الذاتية والسيرة والرحلة.

من جانب، تطرح علاقة السرديات بالأدب المرجعي إشكاليات أخرى قد لا تطرحها الأجناس التخييلية. لقد أقر "جونات بأن السرديات في جانبها الخطابي، من حيث هي دراسة للخطاب القصصي، أو في جانبها الفرضي، باعتبارها تحليلا المكونات الحكاية التي يرويها ذلك الخطاب، من المفترض أن تدرس كل القصص التخيلية وغير التخييلية، لكنها قد اتجهت بشكل شبه تام إلى السرد التخييلي ودعا إلى دراسة واسعة تسعى إلى تبين خصائص الخطاب القصصي المرجعي في اجناس مختلفة كالحوليات التاريخية والسيرة واليوميات وقصص الصحافة وتقارير الشرطة والقضاء وغيرها.

إن المبرر الأساسي لهذا البحث عن التميز هو علاقة الخطاب القصصي بالحكاية المروية فمن المفترض في القصص المرجعي أن الحكاية حقيقية أي إنها تروي ما وقع العلاء أما في القصص التخييلي فالحكاية متخيلة. وما أملى أيضا على بعض الباحثين تعويض الثنائية المعروفة في السرديات (حكاية – خطاب) بثلاثية ملائمة للأجناس المرجعية. (إحالة – حكاية – خطاب) وقد حاول جونات أن ينطلق من تصنيفه المعروف لمباحث الخطاب القصصي ليبرز ما هو مشترك بين التخيلي والمرجعي وما هو مميز لأحدهما من الآخر.

المراجع:

مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010.

سوزان أونيجا، خوسي أنخل غارثيا لاندا، السرديات من البنيوية إلى ما بعد البنيوية، تر/ السيد إمام، دار شهريار، البصرة، 2020.